مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٢:١-١١)

لما حلَّ يومُ الخمسينَ كانَ
الرسلُ كلُّهم معاً في مكانٍ
واحد* فحدث بغتةً صوتٌ من
السماءِ كصوتِ ريحٍ شديدةٍ
تعصِفُ وملأَ كلَّ البيتِ الذي
كانوا جالسينَ فيه* وظهرت
لهم ألسنةٌ متقسِّمةٌ كأنَّها من
نارٍ فاستقرَّت على كلِّ واحدٍ
منهم* فامتلأوا كلُّهم من
الروحِ القدسِ وطفِقوا
يتكلَّمون بلغاتٍ أخرى كما
أعطاهم الروحُ أن ينطِقوا*
وكان في أورشليمَ رجالٌ
يهودٌ أتقياءُ من كلِّ أمّةٍ تحتَ
السماءِ* فلمَّا صارَ هذا
الصوتُ اجتمعَ الجمهورُ
فتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان
يسمعُهم ينطِقون بلغته*
فدهِشوا جميعهم وتعجَّبوا
قائلينَ بعضُهم لبعضٍ أليسَ
هؤلاءِ المتكلِّمونَ كلُّهم
جليليين* فكيفَ نسمعُ كلٌّ
منَّا لغتهُ التي وُلد فيها*
نحنُ الفرتيين والماديين
والعيلاميين وسكَّان ما
بين النهرين واليهودية
وكبادوكية وبنطسَ وآسية*
وفريجية وبمفيلية ومصر
ونواحي ليبيَّة عند القيروان

ألوهة الروح القدس

«أيها الروح الكلي قدسه الصادر من الآب والآتي بالابن على التلاميذ العديمي الكتابة، خلِّصْ وقدّس كل الذين يعرفونك إلهًا» (من سَحَرْ عيد العنصرة).

تعيّد الكنيسة المقدسة للروح القدس في يوم الإثنين الذي يلي أحد العنصرة، ويُعرف هذا اليوم بإثنين الروح القدس. في هذا اليوم نؤكد على إيماننا بألوهة الروح القدس، الأقنوم الثالث في الثالوث المقدس، ونؤكد على عقيدة مساواة الروح القدس للآب والابن في الجوهر.

العدد ٢٠٠٤/٢٢

الأحد ٣٠ أيار

أحد العنصرة

تذكار أبينا البار إسحاقيوس

رئيس دير الدلماتن

لقد دافعت الكنيسة منذ القرون الأولى للمسيحية عن إيمانها بألوهة الروح القدس ضدّ بعض البدع، مثل بدعة مكدونيوس (القرن الرابع) الذي علّم بأن الروح القدس مخلوق ومشابه للآب والابن لكنه ليس من نفس جوهرهما وطبيعتهما، وأن الروح أدنى من الآب والابن في الكرامة وأنه خادم ويطبق عليه كل ما يقال عن الملائكة القديسين.

انعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية وأبسل بدعة مكدونيوس وأتباعه وأعلن إيمان الكنيسة بألوهة الروح القدس وأكمل الجزء الثاني من دستور الإيمان، من «وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء...» إلى نهاية الدستور.

إيمان الكنيسة هذا متجذّر في الكتاب المقدس. في الكتاب نصوص عديدة تدعم هذا الإيمان. نقرأ في إنجيل متى أن الرب بعد قيامته أرسل تلاميذه إلى البشارة قائلاً: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨:١٩). لم يقل عمّدوهم على أسماء الآب والابن والروح القدس، بل على **اسم**، وهذا للدلالة على أن الثلاثة هم واحد من حيث الطبيعة والجوهر. لذلك فإن الروح القدس هو أيضًا إله كامل. هذه الوحدة يؤكدها أيضًا الإنجيلي يوحنا بقوله: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم **واحد**» (١يو ٥:٧). الروح القدس واحد مع الآب والابن وليس هو مساوياً لهما في الجوهر فقط: «أما التجديف على الروح القدس فلن يُغفر للناس ... ومن قال (كلمةً) على الروح القدس فلَنْ يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي» (متى ١٢: ٣١-٣٢).

والرومانيين المستوطنين* واليهودَ والدخلاءَ والكريتيين والعرب نسمعهم ينطِقون بألسنتنا بعظائم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٧:٣٧–٥٢)

في اليوم الآخر العظيم مِنَ العيدِ كان يسوعُ واقفاً فصاحَ قائلاً إن عَطِشَ أحدٌ فليأتِ إليَّ ويشرَبْ* مَنْ آمن بي فكما قال الكتابُ ستجري مِنْ بطنهِ أنهارُ ماءٍ حيٍّ* (إنَّما قال هذا عن الروحِ الذي كان المؤمنون بهِ مزمعين أنْ يقبلوهُ إذ لم يكن الروحَ القدسَ بعدُ. لأنَّ يسوعَ لم يكنْ بعدُ قد مُجِّدَ)* فكثيرون منَ الجمع لمَّا سمعوا كلامَهُ قالوا هذا بالحقيقةِ هو النبيُّ. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا ألعلَّ المسيحَ من الجليل يأتي* ألم يقُل الكتابُ إنَّهُ مِنْ نسلِ داودَ من بيتَ لحمَ القريةِ حيثُ كان داودُ يأتي المسيحُ* فحدثَ شقاقٌ بين الجمع من أجلِهِ* وكان قومٌ منهم يريدون أن يُمسكوه ولكن لم يُلقِ أحدٌ عليه يداً* فجاءَ الخُدَّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيين فقال هؤلاء لهم لِمَ لم تأتوا بهِ* فأجابَ الخدَّامُ لم يتكلَّم قطُّ إنسانٌ هكذا مثلَ هذا الإنسان* فأجابهم الفريسيون ألعلَّكم أنتم أيضاً قد ضَلَلْتم* هل أحدٌ من الرؤساءِ أو من الفريسيين فالروح واحد بالطبيعة مع الآب والابن وهو ممجَّد مع الآب والابن لذلك التجديف على الروح القدس لا يُغفر.

هناك نصّان كتابيان مهمان جدًا في الإصحاحين الخامس والثامن والعشرين من سِفْر أعمال الرسل يؤكدان ألوهة الروح القدس. في الإصحاح الخامس نقرأ عن حنانيا وامرأته سفيرة اللذين باعا حقلاً واختلس حنانيا من ثمن الحقل وذلك بمعرفة زوجته. هذا أتى ووضع جزءًا من المال عند أرجل الرسل: «فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل ... أنت لم تكذب على الناس بل على الله» (أع٥: ٣ و٤). الروح القدس إذًا هو الله، أي من نفس جوهر الآب والابن. أما في الإصحاح الثامن والعشرين فإننا نسمع الرسول بولس يقول «حسنًا كلّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي» (أع ٢٨:٢٥). ولكننا نعلم أن المتكلم مع النبي إشعياء هو السيد الرب إله الصباؤوت الجالس على كرسي عالٍ، وتناديه السيرافيم «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض» (إش ٦:٣).

الروح القدس هو روح الله والعارف بكل أمور الله حسبما يؤكد الرسول بولس: «لأن الروح يفحص كل شيءٍ حتى أعماق الله. لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضًا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (١كو ٢: ١٠–١١). وهو العالم بكل شيء والقادر على كل شيء: «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يو١٦:١٣) «بكلمة الرب صُنِعَت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» (مز ٣٣:٦) «ترسِل روحك فتخلق» (مز ١٠٤:٣٠).

أخيرًا، لو لم يكن الروح القدس إلهًا كاملاً لما كان عهد بنا إليه الرب يسوع ليقودنا في مسيرتنا نحو الملكوت بعد صعوده إلى السموات. «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦). «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم... وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يو ١٦:٧و١٣). مهمة هذا الروح القدس أن ينشئ شهودًا للرب، أي قديسين: «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء» (يو ١٥: ٢٦ و٢٧).

صور الروح القدس في العهد القديم

«إن الروح القدس نورٌ وحياة وينبوع حيّ عقليٌّ، روح حكمة، روح فهم، صالح مستقيم، عقليّ رئاسيّ، مقسِّمٌ للمواهب، الذي به الأنبياء كافة ورسل الله مع الشهداء تكلّلوا، سمعةٌ مستغربة، رؤية غريبة، نارٌ مقسومة لتوزع المواهب» (من خدمة سَحَر أحد العنصرة).

عندما نتكلم عن الروح القدس فإننا نعني روحَ الله، الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس، الذي يقوم بدور فاعل منذ بدء الخليقة، ولكن بصورة خفية، في تحقيق التواصل بين الله والناس، وهو قوة الله الفاعلة من أجل خلاص الشعب.

نقول إن الروح القدس يعمل بصورة خفية، أي إنه يعمل من خلال الناس وليس مباشرة، وهذا ما نلمسه في العهد القديم مثلاً في عمله من خلال القضاة والأنبياء الذين قاموا بما كان يمليه عليهم الروح القدس من أجل خلاص شعب الله (قضاة ٣: ١٠،

آمن بهِ* أمَّا هؤلاءِ الجمعُ الذين لا يعرفون الناموسَ فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديمس الذي كان قد جاءَ إليهِ ليلاً وهو واحدٌ منهم* ألعلَّ ناموسَنا يدينُ إنساناً إن لم يسمعْ منهُ أولاً ويَعْلَمْ ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلَّكَ أنتَ أيضاً من الجليل. إبحَثْ وانظُرْ إنَّهُ لم يَقُمْ نبيٌّ من الجليل* ثم كلَّمهم أيضاً يسوعُ قائلاً أنا هو نورُ العالَم من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نورُ الحياة.

تأمل

واحد هو الروح القدس المعزّي، كما ان الله الآب واحد وليس هناك أب آخر؛ كما أن الإبن الوحيد واحد، كلمة الله، وليس له أخ؛ كذلك الروح القدس واحد، وليس هناك روح قدس آخر مساوٍ له في الكرامة؛ فالروح القدس هو كليّ القدرة، ذاتٌ إلهية فائقة الإدراك. هو حيّ وذاتٌ روحية، يقدّس كل الأشياء التي خلقها الله في المسيح. هو الذي ينير نفوس الأبرار؛ هو الذي تكلَّم في الأنبياء والرسل في العهد الجديد. فلنمقت الذين يجرأون على تقسيم نشاط الروح القدس. إله واحد الآب سيّدُ العهدين القديم والجديد؛ وربّ واحد، يسوع المسيح، الذي تنبأ عنه العهد القديم، وظهر في العهد الجديد؛ وروح واحد قدوس،

١:٣٤:٦صمو١١:٦؛ حز ٥:١١ ...).

حضور الروح القدس هذا يعبَّر عنه في العهد القديم بصور حسّية يمكن أن يختبرها الإنسان في حياته كالريح والنَفَس والطائر والزيت.

تعني كلمة «رُوَّح» العبرية إما «ريح» أو «نَفَس» أو «روح»، وهي تستعمل عادة بمعنى «روح» ويتضمن ذلك «روح الله».

قوة روح الله، مثل الريح، تفوق قدرة الإنسان وإدراكه. وكما أن الريح يهب ونشعر به دون أن نراه هكذا الروح القدس، فهو منذ بدء الخليقة يرف على وجه المياه (تك ٢:١) وينظّم الأشياء كلها، كما عبّر عن ذلك كاتب المزامير: «ترسل روحك فتُخلَق وتجدد وجه الأرض» (٣٠:١٠٤)، «بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه كلّ جنودها» (٦:٣٣).

الروح القدس هو قوة الحياة بالنسبة للإنسان، هو نسمة الحياة التي ينفخها الله فينا: «وجبَل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية» (تك ٧:٢). مثل هذه الصورة ينقلها لنا حزقيال النبي في رؤياه عن العظام في البقعة،التي بأمر الرب تقاربت، كل عظم إلى عظمه، وكساها العصب واللحم والجلد ودخل الروح فيهم فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا (حز٣٧:١–١٠). هذا الروح هو الروح القدس نفسه:«وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم فتعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب» (حز ٣٧:١٤).

قوة الحياة هذه ليست مجرّدة، فالروح القدس فاعلٌ في نفسه وهو القوة ومصدرها في آن معًا، ونحن نقيم معه علاقةً شخصية، وإذا أخلّينا بهذه العلاقة نجرحه كما نجرح الرب. في اشعيا ٦٣، في المقطع الذي يتكلم عن روح الرب الذي يهتم بشعبه كالقطيع ويحميه من الأعداء (إش ٦٣:١١–١٤)، يعلن الرب لشعبه «ولكنهم تمرّدوا وأحزنوا روح قدسه» (٦٣:١٠). من هنا يأخذ الروح القدس صورة المربّي الذي يأخذ على عاتقه الاهتمام بنا وعلينا نحن بدورنا أن نطيعه.

يشبّه العهد القديم الروح القدس بالطائر، فهو يظهر في كتاب التكوين مرفرفًا على وجه المياه (تك ٢:١). وفي العهد الجديد ينزل الروح القدس على الرب يسوع في المعمودية «مثل حمامة» (مر١:١٠؛لو٣:٢٢؛يو١:٣٢). قد تردد صورة الطائر صدى رواية الخلق في كتاب التكوين والتي تعني بداية خليقة جديدة. وفي رواية الطوفان نجد في الحمامة صورة الرسول الذي ينقل البشرى السارة (تك ٨:١١).

ما يرمز أيضًا في العهد القديم إلى حضور الروح القدس هو زيت (دهن) المسحة. أكان للأبنية أو لأشخاص معيّنين. فالأشياء التي تُمسح بالزيت تقدَّس لله. من أجل ذلك يأمر الله موسى بصنع زيت للمسحة من أفخر الأطياب ليمسح به خيمة الشهادة وكل ما فيها فتكون مقدسة للرب (خر٣٠:٢٢–٣٣)، وليسكب منه أيضًا على رأس هارون وأولاده (خر ٢٩:٧) ليخدموا الرب. بحسب كاتب المزامير يُمسح مختار الله «بدهن الابتهاج» (مز ٤٥:٧)، وإشعياء يقول «روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق» (٦١:١). الروح القدس يقيم في آنية مكرَّسة له، وما زيت المسحة إلا رمز لهذا التكريس.

بالمعمودية مُسحنا بالميرون دلالة على انسكاب الروح فينا فصرنا آنية له لنسلك بحسب ما يرضيه لئلا نحزنه فيكون هو حياتنا ونهتف نحوه: «أيها الملك السماوي المعزي

بشّر بواسطة الأنبياء ما يخصّ المسيح. ولما جاء المسيح نزل عليه وأعلنه (متى ٣:١٦).

فلا يفصلنّ أحد إذاً العهد القديم عن العهد الجديد. ولا يقل أحد: الروح هو غير الروح في العهد الجديد، لأنه يهين الروح القدس نفسه المكرَّم مع الآب والإبن، والمسمّى معهما في الثالوث الأقدس عند العماد المقدس. فقد قال ابن الله الوحيد للرسل بوضوح: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ٢٨:١٩). رجاؤنا هو في الآب والإبن والروح القدس. إننا لا نبشّر بثلاثة آلهة ولكننا نبشّر بإله واحد مع الروح القدس بالإبن الوحيد. الإيمان لا يتجزأ والتقوى لا تقسّم. إننا لا نفصل الثالوث الأقدس، كما يفعل البعض، ولا نجعل منه خليطاً غامضاً ولكننا نعترف بتقوى بآب واحد أرسل إلينا ابنه كمخلّص، ونعترف بابن واحد وعد بإرسال المعزّي من لدن الآب (يو ١٥:٢٦)، ونعترف بالروح القدس الذي تكلّم في الأنبياء والذي حلّ على الرسل، في العنصرة، بهيئة ألسن نارية (أعمال ٢:١-٣).

القديس كيرلس الأورشليمي

روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، كنز الصالحات ورازق الحياة، هلمَّ واسكن فينا وطهرنا من كل دنس وخلِّص أيها الصالح نفوسنا».

اشتعال الروح

«لا تطفئوا الروح...» (١تسا ٥:١٩). يعيش الإنسان، عادة، بدون اهتمام ولا تركيز فيما يخصّ عبادة الكنيسة وخلاصه الذاتي. عندئذٍ توقظ النعمةُ الخاطئ النائم وتدعوه إلى الخلاص. بينما يصغي عادة إلى هذه الدعوة بإحساس من التوبة، فإنه يعتزم أن يكرّس بقية حياته للأعمال التي ترضي الله، وأن ينال الخلاص بفعل ذلك. ويُظهر هذا القرار ذاته بالتوق والغيرة: وهذان، بدورهما، يصبحان فعّالين عندما تقوّيهما النعمة الإلهية من خلال الأسرار المقدسة. ومنذ هذه اللحظة يبدأ المسيحي بالإشتعال بالروح، أي: يبدأ بالصيرورة غيوراً، بدون إنقطاع، على إكمال ما يُريه إياه ضميره أنه إرادة الله.

من الممكن إبقاء إشتعال الروح هذا وتقويته، أو إطفاؤه. إنه يتقّد، قبل كل شيء، بواسطة أعمال المحبة تجاه الله وقريبنا – هذا هو حقاً جوهر الحياة الروحية – وبواسطة إخلاص عام لكل وصايا الله بضمير مطمئن، وبواسطة الأعمال التي لا تشفق على نفسنا وجسدنا، وبواسطة الصلاة ومقاصد الله. ينطفئ الروح بتشتّت الإنتباه عن الله وعن أعمال الله، وبالقلق المفرط على الأمور العالمية، وبالإنغماس في المتعة الحواسية، وبالإنقياد إلى الرغبات الجسدية، وبالإفتتان بالأمور المادية. إذا إنطفأ هذا الروح، فستنطفئ عندئذ الحياة المسيحية أيضاً.

يناقش القديس يوحنا الذهبي الفم إشتعال الروح هذا بتطويل مهم. إليك باختصار ما يقوله: «ينتشر ضباب كثيف وظلام وغمام على الأرض. وقد قال الرسول مشيراً إلى هذا: «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة» (أف ٥:٨).

نحن محاطون بالليل ولا يوجد ضياء قمر كي يساعدنا، وخلال هذا الليل علينا أن نسير. لكن الله أعطانا مصباحاً منيراً عندما أشعل نعمة الروح القدس في نفوسنا – إنما من بين الذين نالوا هذا النور، بعضهم قد جعلوه أسطع وأنقى، مثل بولس وبطرس وكل القديسين؛ أما البعض فقد أطفأوه، مثل العذارى الخمس الجاهلات أو أولئك الذين عانوا من غرق سفينتهم في الإيمان، والزاني الكورنثي أو الغلاطيون الساقطون. وهكذا يقول بولس: «لا تطفئوا الروح» أي العطية، لأنه يتحدث عادة عن «عطية» الروح القدس. وما يطفئها هو الحياة النجسة لأنه إن سكب أي واحد الماء أو ذرَّ التراب على نور مصباح فسينطفئ، وهذا ما يحدث أيضاً إذا أراقوا الزيت منه: تنطفئ عطية النعمة بنفس الطريقة. إن ملأتَ ذهنك بالأمور الأرضية، وإذا وهبتَ نفسك لإهتمامات العمل اليومي فستكون قد أطفأت الروح سلفاً. وينطفئ اللهيب أيضاً عندما لا يوجد زيت كاف، أي عندما لا نُظهر الإحسان. لقد أتى الروح القدس إليك برحمة الله؛ وهكذا إن لم يجد الثمار المطابقة للرحمة فسوف يفرّ منك. إذ إن الروح القدس لا يجعل سكناه في النفس غير الرحيمة.

دعونا إذاً نهتم بألا نطفئ الروح. فكل الأعمال الشريرة تطفئ هذا النور: الإفتراء والإساءات وما شابه. إن طبيعة النار هي بحيث تجعلها قابلة للفناء بأي شيء أجنبي، وأي شيء مجانس لها يعطيها المزيد من القوة. إن الروح القدس يتفاعل بنفس الطريقة.

القديس ثيوفانس الحبيس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb